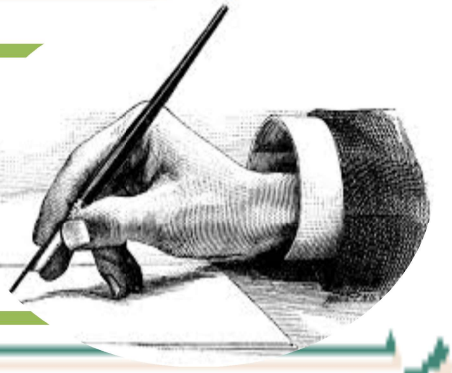

المحاضرة الثالثة:

رجمة الأدبية وخصائصها

المبحث الأول: مفهوم النص الأدبي ومميزاته

تمهيد :

الأدب نوع من أنواع التعبير الراقي عن مشاعر الكاتب وأفكاره وآرائه وخبرته الإنسانيّة في الحياة من خلال الكتابة سواء كانت كتابة نثريّة أو شعريّة أو غيرها من أشكال التعبير المتاحة للأديب، بغرض الإفصاح عن مشاعره ومكنوناته. ويعد من أهم الفنون و أوسعها انتشارا لارتباطه بالإنسان والحياة. وهو حسب تعريف المعجم المفصّل في الأدب: « ما عبّر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل ... وهو نتاج فكريّ يشكّل الرصيد الفكريّ واللغوي لأمّة من الأمم وهو انعكاس لثقافتها ومجتمعها يقدمها أديب هذه الأمة مُعبّرا بها عن طموحها وأحلامها وآمالها». (محمد التونجي، 1994، ص 47)

والأدب أنواع يمكن تصنيفها بعدّة طرق مختلفة، حيث يُمكن أن ننسبه إلى ثقافة معينة مثل الأدب العربيّ أو الأدب الفرنسيّ أو الأدب الإنجليزيّ. ويمكن أن نصنّفه ضمن حقبة زمنية معيّنة على غرار أدب القرن العشرين. وقد نصنّفه تبعاً لموضوعه مثل أدب المقاومة أو أدب الرحلات وغيرها. كما يمكن تصنيفه إلى أنواع تبعا لشكل الأعمال الأدبية، ونجد من أهمها: الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والشعر والمقالة والسيرة الذاتيّة ... إلخ.

فما مفهوم النص الأدبي وماهي خصائصه؟ وما هي خصائص ترجمته بأبعادها وإشكالاتها؟

1- مفهوم النص الأدبي

النص اصطلاحا » عبارة عن نسيج من الجمل المتضامنة والمتضافرة والمتجادلة والمتراكبة والمتتابعة لا يُمكن فهمه إلا بتتبع ملفوظاته واستقصائه جملة جملة بغية إدراك المعنى والغاية والمنتهى والفائدة المرجوة. أما النص (**Texte**) في الثقافة الغربية، فيعني نسيجا لفظيا أو مكتوبا في شكل جمل وفقرات ومتواليات مترابطة ومتراصّة ومتسقة ومنسجمة (...) خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية « (جميل حمداوي، 2015، ص 6). وهو »أحد أهم مظاهر التوصيل اللساني لكونه يختزن الأفكار والتراكيب والوظائف. وعدا أنه مُعد لأغراض توصيلية، فهو أيضا موجه لفئات مختلفة من القرّاء. « (إ. بيوض، 2003، ص 32)

والنصّ الأدبي » كلام متعدّد المستويات متعدّد الخصائص الفنّيّة يؤدّي فضلا عن وظيفته المعرفيّة والتبليغية، وظيفة نفسيّة تتمثّل في التأثير في المتلقّي من خلال تحريك انفعالاته وزيادة عنصر التشويق لديه عبر الصور الفنية التي تضفي على النصّ شعرية وتمنحه القدرة على التأثير. وتعدُّ الصور مظهرا من مظاهر الفنّ والجمال في النصّ، ومؤشّرا قويّا على العبقريّة والإبداع. فقد ربط أرسطو بين الشعر والرسم، وذكر أن الرّسام يستعمل الريشة والألوان، في حين يستعمل الشاعر المفردات ويصوغها في قالب فنّي مؤثّر يترك أثره في المتلقي... وممّا لاشكّ فيه أنّ الصورة تكشف عن رؤية الشاعر للأشياء والأشخاص أكثر مما يكشف عنها الكلام الصريح أو التعبير المباشر الذي لا يستطيع أن يتناغم مع المشاعر الإنسانيّة أو يتحاور مع الوجدان لأنه عقيم فنّيا. ولا يمكن للكلام أن يرقى إلى مصف الفن ما لم يتوفّر على قوّة الخلق أو عنصر الإبداع الذي يخلق المتعة والجمال الفنّيين«. (عقيل جاسم دهش، 2012، ص 1)

سعت الدراسات النقدية منذ القديم إلى تحديد الهوية الجمالية للنص الأدبي والمبادئ الجمالية التي يعتمدها الكاتب أو الأديب في خطابه تجعل منه نصا متميّزا عن الخطاب غير الأدبي أو ما يُعرف في النقد الأدبي الحديث بشعرية الخطاب **Poétique du Discours** أو **Littéralité du Discours**، ويعود الفضل في تحديد هذا المفهوم إلى الشكلانيين الروس في بداية القرن العشرين الذين نادوا بضرورة ميلاد البويطيقا، ولن يكون مفهومها الأدب بوصفه مفهوما عائما ولكن أدبية الأدب، فموضوع علم الأدب حسب جاكبسون **Jakobson** ليس هو الأدب وإنما الأدبية، أي ما يجعل العمل أدبيا. ومن خلال مواصلة البحث عن هذه الأدبية "كموضوع" وكذا السعي إلى إقامة علم جديد للأدب عرفت الدراسة الأدبية منذ الشكلانيين الروس مسارا مختلفا، وتحققت خطوات عملية في تسريع عجلة فهمنا للأدب. وبمحاولة تحديد موضوع العلم الأدبي تم الانتقال من الأدب بمعناه الأوسع إلى الأدبية كخصائص نوعية للأدب. وكما حدّدت البويطيقا الجديدة مع الشكلانيين الروس مفهوم الأدبية، ضبطت البويطيقا المتجدّدة هذا المفهوم الذي أصبح الخطاب الأدبي وليس الأدب بوجه عام. (سعيد يقطين 1989، ص 13-14). وكلها دراسات انصبّت حول الظاهرة الأدبية التي تُؤسس أدبية الأدب بمعنى ما يجعل من عمل مُعيّن عملا أدبيا. وقد يبدو مفهوم الشعرية مقتصرا على الوظيفة الشعرية في الشعر دون

سواه لأنها تأخذ فيه الامتياز، إلا أننا نجد مفهوم الشعرية يتجاوز ذلك إلى خطابات أخرى تحتل فيها هذه الوظيفة مكانة أدنى من الوظائف الأخرى. (Jakobson, 1987, p. 73) كما « تشمل النصوص الأدبية عدة وظائف أهمها الوظيفة التعبيرية والوظيفة الجمالية لأنها أحد أسس الكتابة الأدبية، وأحيانا تكون لها وظيفة تبليغية« (إ. بيوض، المرجع السابق، ص 34)، بمعنى أن الخطاب الأدبي هو خطاب لغوي تواصلي تُهيمن فيه وظائف الشعرية والجمالية والتوصيلية أو الإخبارية.

ويُعتبر الانزياح **L'écart** أو الخروج عن مألوف القول أمرا أساسيا في تحقيق جمالية **esthétique** النص الأدبي، حيث تُحدّد أدبية الخطاب بمقدار انزياحه عن المألوف من القول وذلك في تركيبته البنيوية أو الدلالية، لأن المألوف من الكلام لا يُحدث أي أثر في نفس المتلقي، ولهذا نجد الأديب » لا يُدمّر اللغة العادية إلا لكي يعيد بناءها على مستوى أعلى. « (صلاح فضل، ص52) ومنه، يتضح أن ميزة النص الأدبي (الإبداعي) تكمن في انزياحها عن المألوف التي تُؤسّس لنظرية الانزياح القائمة على ثنائية المعيار **Norme** والانزياح **L'écart**وكذا ثنائية الدلالة التصريحية **La Dénotation** و الدلالة الحافة (أو الإيحاء) **La Connotation**، فالدلالة التصريحية تُحيل إلى المعنى المرجعي **référentiel** أو الصورة الذهنية لعين الشيء، في حين تُحيلنا الدلالة الحافة إلى فكرة الأسلوب **Le Style** الذي نتعرف من خلاله على القيم الأسلوبية **Les valeurs stylistiques** ، وهو الذي يُخلّف الأثر الذي تتركه فينا الكلمات.

2. مميزات النص الأدبي

للنص الأدبي سمات أدبية وجمالية تُميّزه عن باقي النصوص، وهي كالآتي:

أ- سيطرة الوظيفة التعبيرية: وهي وظيفة تتكفل بالتعبير عن أفكار المبدع و وصف عواطفه التي تعكس كل ما بصدره من مشاعر وأحاسيس تلون ألفاظه وعباراته، واستخدام اللغة وفقا لقدراته التعبيرية لنقل موقفه و الإقناع به.

ب- القدرة الإيحائية: وذلك عبر الدلالات الهامشية لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي، والتأثير في المخاطبين.

ج- أهمية الشكل :

الشكل هو وسيلة لإحداث البعد الجمالي، ويُقصد به استعمال المؤلف للغة استخداما خاصا للتعبير وإبراز رسالة الأثر الأدبي بالهيئة التي قصد المؤلف أن تكون عليها بغية إثارة العواطف والانفعالات فضلا عن وظيفة إبلاغ الحقائق.

د- تعدد المعاني والقابلية لتعددية التأويل :

تتعدّد تأويلات النص بتعدّد قرّائه لوجود التأويل المجازي، وهو أحد مظاهر التباين بين النص الأدبي وغيره من النصوص.

هـ- تجاوز النص حدود الزمان والمكان :

أي أن قيمة النص الأدبي بوصفه أثرا أدبيا لا تتأثر كثيرا بتغيُر الزمان والمكان وهو كذلك مرآة لهما.

و- نقل القيم الإنسانية :

تناول الأدب في كل زمان ومكان المواضيع الثابتة المتعلقة بالقيم الإنسانية كالحب والخير والصداقة والإيمان والتضحية والحرية والحياة وتناقلتها الأجيال باعتبارها قيما لا تبلى. ذلك ما يجعل الفرد يولي الأدب هذه الأهمية. إذ تطرح هذه القيم بطرق فنية تختلف باختلاف الجنس الأدبي. (جمال محمد جابر، 2005، ص 18-25)

تلك هي أبرز خصائص النص الأدبي بكل أجناسه وهي خصائص لغوية، إبداعية، جمالية وأسلوبية تميزه عن النصوص العلمية والإخبارية المحددة في أغلبها بمضمونها ولغتها المألوفة لثبات دلالة الألفاظ لدى المتعاملين بها. حيث يُعرف أن النصوص الأدبية يغلب فيها الإيحاء (**Connotation**) والمفردات ذات الشحنة الدلالية، وتغلب عليها التعابير المجازية والاستعارات والخيال لانزياح لغتها عن المألوف بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية والمعجمية وتشبعها بالخيال والعاطفة لإثارة المشاعر والتأثير في نفس المتلقي.

المبحث الثاني: الترجمة الأدبية ومتطلباتها

تمهيد:

للنص الأدبي مميزات وخصائص لغوية وثقافية ذلك لأن اللغة هي عنصر أساسي من عناصر الثقافة المحدّدة لهوية المجتمعات وتاريخها، والوعاء الذي يحوي هذه المميزات ويحفظها. وقد أخذ البعد الثقافي قسطا وافرا في الدراسات الترجمية نظرا لأهميته في الممارسة الترجمية وأثره في تحديد منهجية الترجمة التي تُلبّي الهدف المرجو من العملية، وهذا ما يدفعنا إلى إدراك الصعوبات في ترجمة هذه المميزات حتى تضطلع الترجمة بالدور المسند إليها.
ما طبيعة العوامل والخلفيات التي تطرح إشكالية ترجمة النصوص الأدبية بمميزاتها اللغوية والثقافية؟

– الترجمة الأدبية ومتطلباتها:

الترجمة الأدبية فرع من فروع الترجمة تعنى بترجمة الأدب بأنواعه المختلفة مثل الشعر والرواية والمسرح وما إلى ذلك، وتقتضي نقل النصوص الأدبية من شفرة لغوية إلى أخرى وذلك ابتغاء نقل المعنى الذي قد يكون إما إحاليا محضا (**référentiel**)، بمعنى إحالة القارئ إلى دلالة الألفاظ التي يريد المؤلف أو صاحب النص التعبير عنها، وإما أدبيا فيتضمن عناصر بلاغية وبنائية وفنية متجاوزا بذلك إلى المغزى(**signification**). والتأثير (**l'effet**) المفترض أن يعتزم المؤلف إحداثه في نفس القارئ. (م. عناني، 1998، ص 6)

وتُعد الترجمة الأدبية بالنظر إلى طبيعة النص الأدبي ولغته، من أصعب الترجمات مراسا لأنها تتميز بإشكالية مُركبة متعددة المشارب تحكمها شروط إبداعية وجمالية وأسلوبية ولسانية وغير لسانية، الأمر الذي أدّى ببعض المنظرين إلى مد أفق الترجمة إلى شعرية ترجمية تفترض نظرية أدبية تربط ذاتية المترجم بترجمة الأثر وليس الإجراء ليصبح المترجم كاتبا شريكا (co-auteur) أو كاتبا معيدا .(réécrivain) (Ladmiral, 1994, p. 21). ويُعتبر المترجم مبدعا ثانيا بالنظر إلى تباين لغة النص الأصل والنص الهدف، لأن الأمر يتطلب منه جهدا أشق من الجهد الذي يُبذل في التأليف، ذلك أن المترجم يكون محصورا في كلام المؤلف ومعانيه وليست له الحرية في اختيار الأفكار والمعاني التي تحلو له. فلن يتسنى

لـه العمـل إلا في ظـل معـالم نفسـية محددة يفرضـها النص المصـدر الـذي يجب أن يتحسّـس تفاصيله ويحافظ على أصالته دون تشويه. (إ. ز خورشيد، 1978، ص 5)

وتقع على عاتق المترجم باعتباره قارئا ومعيدا كتابة النص، مهمة مزدوجة تتمثل في إدراك شحنة المعاني ضمن ثقافة النص الأصل ولغته، ونقل الشحنة نفسها من خلال مادة لغوية مناسبة لقرّاء النص الهدف. (Mason in Bahaa-eddin, 2011, p. 5)، حيث »لا تتوقف حاجة المترجم خلال عملية ترجمة النصوص إلى كفاءة لغوية في كلتا اللغتين المنقول منها والمنقول إليها فحسب، بل تتعداهما إلى معرفة كلتا الثقافتين وتقاليد التعبير فيهما«. (Enkvist in ibid, p. 5)لأجل ذلك، وجب عليه مد جسور الحوار بينه وبين النص الأصل وصاحبه دون إهمال المتلقي حتى ترتسم أمامه أهداف النص والترجمة والمتلقي. كما هو مطالب بإعادة إنتاج عمل فني يعادل الأصل شكلا ومضمونا والحرص على خلق أثر كفيل بإثارة رد فعل عاطفي وانفعال جمالي يماثل إلى حد ما ذلك الذي يخلفه النص الأصل. وفي هذا السياق، تقول جوئيل رضوان (1985) : » الترجمة الأدبية عملية إبداعية تخضع لمعايير جمالية فنية لا تقتصر على المعيار الوظيفي أو اللغوي المحض«. (ص 176)

وتكون الترجمة في النصوص الأدبية أصعب منها في العلمية أو الإخبارية لأن العمل الأدبي ليس فكرة أو خبرا منقولا فحسب، وإنّما تجربة إنسانية تحمل في طيّاتها أحاسيس وعواطف وتصورات مختلفة تعكس الإرث التاريخي والشحنة الثقافية الكامنين في مكوناتها التي لا يمكن إهمالها بأي شكل من الأشكال. لذا وجب على المترجم حينما يتعامل مع النص الأدبي أن يحرص على إعادة تشكيل المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة لغة المتن في لغة المتلقي (متلقي الترجمة) من ناحية المعنى أولا ومن ناحية الأسلوب ثانيا. (إ. بيوض، المرجع السابق، ص 37). فإذا كان الانزياح أحد المعايير التي تُقاس بها الأدبية، فلا بُدّ على مترجم الأدب أن يأخذ بعين الاعتبار هذا المعيار مستعينا في ذلك بفطنته وجزالة أسلوبه، وخاصة عندما يتعلق الأمر بوحدات معجمية غير مُكرّسة وبُنى نحوية خارجة عن المألوف. (إ. بيوض، المرجع نفسه، ص 44) وفي سياق الحديث عن الأسلوب، يقول لاندرس **Landers** (2001):

»لا يلقى الأسلوب في الترجمة الفنية على سبيل المثال اهتماما كبيرا طالما تجد المعلومة طريقها دون تغيير من النص الأصل إلى النص الهدف ... أما في الترجمة الأدبية ...

يمكن للأسلوب أن يميّز بين ترجمة حيّة تشد إليها القرّاء، وترجمة عرجاء جامدة ومصطنعة تُجرّد الأصل من جوهره الفني الجمالي وحتى روحه«. (ص 7)

كما تتطلب الترجمة الأدبية حسب ريفاتيري **Riffaterre**: » الحفاظ على أسلوب النص الأصل أي الكلمات التي يختارها الكاتب أو الطريقة التي يبني بها تراكيبه، وأن تعكس جميع سماته الأدبية مثل الآثار الصوتية واختيار الكلمات والصور البيانية«.إذ نجد أن» طبيعة عملية الترجمة (الأدبية) هي نقل يحدده المحتوى والشكل، المحتوى الذي يتشكل من المعاني، والشكل الذي يحدّده الأسلوب« (إنعام بيوض، المرجع السابق: 34) فالشكل في النصوص الأدبية» ليست له وظيفة ترابطية فقط، بل وظيفة جمالية أيضا (...) إذ لا يكفي تحقيق التطابق اللساني بين العمل الأدبي وترجمته، بل يجب تحقيق التطابق الفنّي أيضا«. (المرجع نفسه، ص 37).

ولعل خصوصية الأسلوب وظاهرة الغموض المتواجد في ثنايا الرموز والإيحاء من أهم ما يميّز النصوص الأدبية ومن أكبر خصائص الخيال الأدبي، وهي تشكل أكبر تحد قد يواجهه المترجم يُجبره على بذل جهد مضاعف ليتمكن من معانيه، حيث يتضمن النص الأدبي » المعاني المصرّح بها « «ce qui est dit والمعاني الضمنية « le non dit» ومقاصد الكلام«le vouloir dire» .« (جوئيل رضوان، المرجع السابق، ص 177). و يقول جورج مونان (1963) في السياق نفسه:

» إذا سلّمنا باستحالة الترجمة، سيقودنا الأمر تسع مرات من عشر إلى التفكير في الإيحاءات التي تقف عائقا أمام نقل حضارة من "نظرة إلى العالم"إلى نظرة أخرى، من لغة إلى أخرى، بل حتى بين أفراد تجمعهم حضارة واحدة ونظرة موحدة إلى العالم ولغة مشتركة« . فمعاني النص الأدبي لا تتجلى بوضوح إلا لقارئ مُتَرَوٍ في القراءة مُلمٍ بلغة الأدب وخصائصها، الشيء الذي يُحتِم على المترجم التحلّي بهذه الصفات حتى يتسنّى له فهم النص وسبر أغواره وتأويل معانيه واكتشاف نظامه وخصائصه مستعينا في ذلك بكفاءته اللغوية والموسوعية وحتى النقدية.

لقد أدرك المنظرون صعوبة الترجمة الأدبية وأنها لا تُتاح إلا للمترجم المتمرّس الماسك بزمام خصائص الإبداع الأدبي، لذلك» كان المترجمون الأكفاء في بداية القرن العشرين في أغلب الأحيان أنفسهم أدباء« (Y, Hellal, 1986, p. 10)، و» أن أول شرط

يتبادر إلى أذهانا أن يكون المترجم المنتج للأثر الأدبي الذي يحاكي الأثر المترجَم، هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي ولا يكفي أن يكون مُلما أحسن إلمام باللغتين، فالأدب روح واستعداد وسليقة وهذه أشياء لا تستند إلى طبع في النفس ولا تُكتسب«. (محمد عوض، 1969، ص 29). ومعناه أن يكون المترجم أديبا مُلما بالأدب وقواعده ومدارسه وفنونه، يتحلى بحس أدبي وذوق فني. فإن لم يكن كذلك، فأقله أن يكون متذوقا للأدب محبا لفنونه إذا لم تتيسر له ممارسة الأدب إنتاجا، ليتمكن من رصد أفكار الأديب ومشاعره وأحاسيسه ويتمكن من نقلها بكل دقة وصدق، إذ يحتوي كل أثر أدبي على معنى ضمني لا يتطابق مع المعنى المادي أو اللغوي، لا يمكن لسواه أن يُحدث في أنفسنا الأثر الجمالي الذي أراده المؤلف، وهذا المعنى هو الأجدر بالنقل. فالترجمة الأدبية لا تعني أن نحسن نقل الكلمات من لغة إلى أخرى بل التمكن من نقل المشاعر والروح التي فيها وكذا الأحاسيس والمشاعر التي تختلج صدور الأدباء نقلا حقيقيا.

المبحث الثالث: البعد الثقافي في ترجمة النصوص الأدبية

تمهيد:

تظل الترجمة نشاطا يكتسي أهمية بالغة ويلقى انتشارا واسعا لأنه يتكفل بنقل الآثار الأدبية من مجتمع لآخر مؤديا بذلك دورا هاما في مد الجسور بين الثقافات، وكذا زيادة الوعي والتفاهم والتوافق بينها. غير أن الاهتمام بأدب اللغات الأخرى يتطلب مراعاة المشاكل الجدية التي تُواجه ترجمة الأدب وتقصّي صعابها، لأنها تفرض على المترجم التعامل مع نص يتضمن عناصر لغوية وثقافية تعكس فكر المؤلف ونظرته إلى العالم وبيئته، ولا يمكن له بأي حال من الأحوال أن يتجاهلها حتى لا تؤول الترجمة إلى الفشل.

1- البعد الثقافي في النصوص الأدبية

لم تكن للإنسان ثقافة إلا عندما عرف كيف يشير إلى الأشياء التي تحيط به، وارتبط ظهور الثقافات المتعددة بظهور العلامات أو الرموز التي تكوّن نظام اللغة، فإن العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن للغة أساسا ثقافيا...

كما أنها نوع من السلوك الاجتماعي مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى تتكون ضمن إطار ثقافة ما. (كريم زكي حسام الدين، 2001، ص 11) وهي من أهم مكونات الثقافة ومظهر من مظاهرها والوعاء الذي يستوعب كل السمات والعناصر المختلفة لثقافة المتكلمين بها. إنها » أساسا نظام عباري يحمل حركة فكرية ومعرفية وفلسفية وإدراكا وتحولات ثورية، علاوة عن كونها خزانة الماضي المتحرك لأمة معيّنة« (محمد الديداوي، 2002، ص271).

واللغة حسب كلار كرامش (1998) **Claire Kramsch** : » هي الوسيلة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية، وترتبط عند استعمالها في سياقات التواصل ذات ارتباطا وطيدا بالثقافة ... وأن المفردات التي يستعملها الأفراد تجد مرجعيتها في الخبرات المشتركة«. (ص 3)

فإذا كانت اللغة الوسيلة الرئيسة التي يتعامل بها أفراد المجتمع والوعاء الذي يحمل كل خبرات الجماعة وتجاربها من خلال ألفاظها وتعابيرها، فلا يُمكننا فهم هذه الألفاظ والتعابير إلا بمعرفة تلك الثقافة. (ك. ز حسام الدين، المرجع السابق، ص 13)، الشيء الذي جعل إدوارد سابير (**Edouard Sapir**) يعتبر اللغة سبيلا للتعرّف على واقع المجتمعات، ودليلا لدراسة ثقافة معينة دراسة علمية لأنها أساسا نتاج ثقافي أو اجتماعي. وعليه، تصبح اللغة وسيلة للتعبير عن نظرة الإنسان إلى العالم المحيط به ومحدّدة لخبراته. (E. Sapir in Bassnet, 2002, p. 21). فاللغة تفرض على المتكلم نظرة إلى العالم تجعل الثقافة والفكر يختلفان باختلاف اللغة، فذلك دليل وجود علاقة تأثر وتأثير بين اللغة والفكر، وهي كذلك حسب العالم الروسي يوري لوتمن (**Juri Lotman**) بمثابة القلب النابض في كيان الثقافة، إذ يقول: »لا وجود للغة ما لم تمتدّ جذورها في السياق الثقافي، ولا وجود لثقافة لا تحمل في عمقها تراسيم لغة طبيعية«. (المرجع نفسه)

2- البعد الثقافي في الترجمة الأدبية

يعد الأدب بصفته شكلا من أشكال الإبداع البشري، مرآة للمعطيات الاجتماعية والحضارية والثقافية لمختلف الشعوب لما تحمله النصوص في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية تجعل الترجمة لا تقبل الانحصار في نظرية لغوية ضيقة لا ترى فيها إلا مجرد نقل

للمعنى تحتويه مجموعة من الرموز اللغوية. فالعمل الترجمي يتطلب بالإضافة إلى اللغة، جملة من المعايير غير اللسانية تتّصل أساسا بالواقع الاجتماعي والثقافي ارتسمت من خلالها صورة تكشف مدى صعوبة أو عدم قابلية المميّزات الثقافية للترجمة، غير أن النشاط الترجمي عمل أكّدته الحاجة وبرهنت عليه الممارسة عبر التاريخ، بصفته نشاطا ثقافيا يعمل على إثراء وتقوية الثقافات.

أما **نايدا** (**Nida**) فيرى »أن الاختلاف الجذري بين اللغات والثقافات قد يعيق عملية إعادة كتابة وبشكل ملائم نصا كتب في لغة الأصل، إلا أن ما يربط الجنس البشري أكبر مما يُفرّق بينهم« (Nida, & Taber, 1969, p. 4) لتتكون بالتالي قاعدة للتواصل حتى بين الثقافات المختلفة. وقد كان **ياكبسن** (**Jakobson**)سبّاقا في التطرق إلى هذا الموضوع معتبرا أن كل خبرات الإنسان قابلة للانتقال بين مختلف الثقافات. كما اعتبر الفيلسوف الإسباني أورتيقا(**Ortega**) أن »الصعوبة والمشقة التي تكتنف نشاط الترجمة لا تمنع ممارستها، بل تعد تأكيدا وإشادة برونقها« ((cited in Hurtado, A. 1990, p.20

انصبّ اهتمام الكثير من الباحثين على العنصر الثقافي الذي يجعل الترجمة تُصاحب موضوعا معقدا لا يكفي فيه حضور الجهاز اللغوي بمعزل عن الجهاز السوسيو ثقافي، لأن الترجمة نقطة التقاء بين الثقافات أو تواصل ثقافي، ذلك لأنها تتلازم وسياق ثقافي يحتّم إضافة الأفق غير اللساني إلى نظرية الترجمة. ومن هنا وجب الانطلاق من مقولة لغة – ثقافة بدل مقولة لغة، اعتبارا لعدم وجود اللغة خارج السياق الثقافي. (Ladmiral, 1994, p. 18)

وبولوج العنصر الثقافي في الترجمة، أصبح المعنى يعرّف بمقتضى حقوله الثقافية والسياقية، والترجمة بعملية تأويلية تعنى بإعادة صياغة ونقل نظرة إلى العالم خاصة بشعب أو أمة إلى نظرة أخرى خاصة بشعب أو أمة مغايرة. وشكّل هذا التوجه أبرز تحول شهده الدرس الترجمي تزامنا مع نشر كتاب "**الترجمة التاريخ والثقافة**" سنة 1990 من تأليف الثنائي سوزان باسنت وأندري لوفافر (**S. Basnett et A. Lefevre**) وعُرف هذا التحول باسم "**المنعرج الثقافي**" **Le Virage culturel– cultural turn**، ومن أهم مخرجاته تجاوز الدرس الترجمي النظريات اللغوية بسبب محدوديتها، وتحول مركز الاهتمام إلى ما وراء اللغة نحو النص بصفته وحدة تتصل به جوانب غير لسانية أهمها الجانب الثقافي والسياسي.

وتتم ضمن هذا المنظور عملية تحليل الترجمة مع النظر في العلاقة بين اللغة والثقافة، وكذا كيفية تأثير هذه الأخيرة في الترجمة.

في ظل هذا المفهوم، صارت مظاهر الاختلاف تتجاوز النصوص مثيرة النقاش حول موضوع الهوية الثقافية واحترام الآخر الذي لم يُنظر إليه إلا من خلال مرجعية الثقافة المستقبلة ومفاهيمها. وببروز مفهوم ترجمة " **الآخر l'Autre**" أو "**الغيرية Altérité**"، خاصة في سياق العولمة والتحولات الاجتماعية الكبرى التي شهدها العالم بأسره، ظهرت إلى الوجود مسائل أخرى مثل السياسة الترجمية والأخلاق والأيديولوجية لتضاف إلى سجل الترجمة الحافل بالعقبات. والحال أن » جل المترجمين كانوا على دراية بالمشاكل المتنوعة التي تطرحها الفروقات اللغوية والثقافية، غير أنهم ما انتهوا عن ممارستها رغم كل المعوقات، يقينا منهم أنه لا يمكن لأي ثقافة أن تقوم بمعزل عن غيرها من الثقافات«. (إ. ز خورشيد، المرجع السابق، ص 3).

3- إشكالية ترجمة البعد الثقافي في الترجمة الأدبية

فضلا عن المميزات اللغوية والنصية المرتبطة بالتأليف الأدبي، نجد اللغة الأدبية أنها ذات صلة وطيدة »بمعتقدات وثقافة وتاريخ المجتمعات والوعاء الذي يحويها ويحفظ مميزاتها والعنصر المحدّد لهويتها، لأن اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية، وترتبط عند استعمالها في سياقات التواصل ارتباطا وطيدا بالثقافة [...] وأن المفردات التي يستعملها الأفراد تجد مرجعيتها في الخبرات المشتركة«. (KRAMSCH, C. 1998. p. 3)

فإذا كانت اللغة الوسيلة الرئيسة التي يتعامل بها أفراد المجتمع والوعاء الذي يحمل كل خبرات الجماعة وتجاربها من خلال ألفاظها وتعابيرها، فلا »يُمكننا فهم هذه الألفاظ والتعابير إلا بمعرفة تلك الثقافة« (كريم زكي حسام الدين، 2001، ص 13)، وذلك ما أكّده على سبيل المثال اللغويون في مدرسة براغ للدراسات اللغوية أو المدرسة السياقية البريطانية الذين نظروا إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، وهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالثقافة. فهي بذلك تعتبر جزءا لا يتجزأ من الثقافة بحيث لا يمكن فهم المعنى

في أي لغة من اللغات إلا بإرجاعه إلى السياق الثقافي الذي جاء فيه.(HOUSE, 2018, p. 47) ذلك ما يستدعي إضافة بعد ثقافي للترجمة الأدبية يتطلب إدراك شحنة المعاني ضمن ثقافة النص الأصل ولغته، ونقل هذه الشحنة من خلال مادة لغوية مناسبة لقرّاء النص الهدف.

وقد يستطيع المترجم نقل المميزات الثقافية بتذليل الفوارق أو التقريب بين الثقافات بما تيسر من الأساليب الترجمية المتاحة :

– إمّا بأسلوب الاقتراض Borrowing الذي يعد من أبسط طرق الترجمة عند غياب المرجعية في اللغة المنقول إليها، فعادة ما تحدث الاستعانة بهذا الإجراء للحديث عن العادات والتقاليد لإضفاء نكهة محلية على النصوص بإبراز تعابير أو مفردات غير مألوفة تظل على أصلها وكتابتها بحروف اللغة الهدف لتقريبها إلى الأذهان.

– وإمّا بواسطة أسلوب التكافؤ Equivalence باستعمال تراكيب مختلفة تتوافق مع السياق لأجل التعبير عن واقع مُعيّن.

– وإمّا باستعمال أسلوب التكييف Adaptation حينما تكون مرجعية سياق النص الأصل مفقودة في ثقافة النص الهدف، بحثا عن مكافئ للرسالة في اللغة الهدف أو مكافئ مُماثل ومناسب لها في سياق مختلف بتغيير مضمون وشكل النص الأصل بما يتماشى وقواعد اللغة الهدف وثقافتها، ممّا يستدعي اللجوء إلى شيء من الإبداع وإعادة الصياغة.

ولا تنحصر الإكراهات التي تتخلل ترجمة النصوص الأدبية بخصائصها في عقبات لسانية أو ثقافية فحسب، بل تتعداها إلى طرح إشكالية تثاقفية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة الآداب بعضها ببعض، وبالأيديولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي، بل سياسة ثقافية وسياسة في الأدب والترجمة. ويأخذنا الحديث في سياق سياسة الترجمة، إلى الإشارة لتلك العوامل التي تحكم اختيار أنواع النصوص لنقلها عبر الترجمة إلى لغة/ثقافة معينة في زمن معين. ويمكننا الإقرار بمدى وجود هذه السياسة بقدر ما كان الاختيار موجها ومدروسا. (TOURY, G. 2000. p. 202)

لم يبق أثر الأيديولوجية ذلك المبحث الهامشي في الدراسات الترجمية، إنما نجده قد أخذ المركز فيها إلى حد جعل بعض علماء الترجمة يؤكّدون بأن للمترجم دائمًا مواقف تعكس أيديولوجية الثقافة المستقبلة. (HOUSE, op.cit, p. 54).- وغالبا ما تكون الترجمة كما أكدته الممارسة ذات نزعة مثلها مثل أي فعل تواصلي، أملت على المترجم أن يأخذ اتجاها يستجيب للهدف المرجو من الترجمة وموقفا إزاء المتلقي، لغته وثقافته عبر قراراته وخياراته، وهي بالتالي تجعل النصوص تفقد بدرجات متفاوتة شيئا منها. وتتجسد هذه الممارسات عبر استراتيجيات تتباين بتباين المنهجية التي تمليها الرهانات على المترجم ويظهر إثرها موقفه من الترجمة.

استنادا لما سبق، تبيّن أن إشكالية ترجمة البعد الثقافي تُثير خلفية أيديولوجية تتطلب إمّا التحكم في البعد الأيديولوجي المحدّد لأساليب الترجمة على غرار مفهوم أنطوان برمان (Antoine Berman)- في الترجمة الأدبية الداعي إلى الأمانة للنص الأصل والانفتاح على ثقافة الآخر بالتصدي لنزعة التمركز حول الذات، حيث تبقى الترجمة لصيقة قدر الإمكان بخصائص النص الأصل شكلا ومضمونا. وإمّا العمل تحت تأثير أيديولوجية تتنكر لثقافة الآخر وتعكس عبر الترجمة أفكار المترجم ونظرته إلى العالم وتاريخه وبيئته وعقيدته وثقافته، حيث تتوسع الهوة بين الأصل والترجمة كلما زاد مقدار التصرف. ولعلّ مفهوم إعادة الكتابة Rewriting كما جاء على لسان أندريه لوفافر (André Lefèvre) أصدق مثال على التصرّف الجائر في النصوص المترجمة، والذي يبرُزُ فيه أثر الأيديولوجية في كل الخيارات التي يقوم بها المترجم.

والحال كذلك، نجد الترجمات – مثلما تؤكده الممارسة الترجمية عبر التاريخ – تحمل أثرا للمرجعيات الاجتماعية والنفسية والثقافية وبالأخص الأيديولوجية التي تشبع بها المترجم ويتأثر بها خلال أدائه لعمله، باعتباره فعلا يعكس ذاتيته أي تاريخه وبيئته الاجتماعية والسياسية، أو بمعنى آخر ثقافته وأيديولوجيته ونظرته إلى العالم التي تظهر بمختلف الأشكال اللغوية بجوانبها المعجمية/ الدلالية أم النحوية/التركيبية وتنعكس فيها بوعي أو بغير وعي منه.